العيد في (هه وليَر) عاصمة اقليم كردستان

أفراح بألوان زاهية.. وأمنيات بأن يعم الأمن كل العراق

اربيل / جرجيس كوليزادة
تصوير / سمير هادي

المعتاد عليه في العالم الاسلامي أن العيد ايام راحة يجمع شمل العوائل والافراد للتهنئة والتبريك والتسامح واعادة جسور المحبة بالمشاعر الطيبة التي تعبر عنها في صباح اليوم الاول من العيد.. هذا ، ما تالف عليه الانسان في العالم الاسلامي ، ولكن هل يمكن ان يحمل العيد معه شيئا جديدا في المجتمع الكردستاني في الاقليم بصورة عامة ، وفي اربيل لدى أهاليها بصورة خاصة ؟. للاجابة عن هذا السؤال سنذكر اراء مواطنين كرد من أهالي مدينة "هه وليَر" عاصمة اقليم كردستان ، تباركوا بشهر رمضان ، وتعايدوا في العيد في اجواء انسانية نبيلة مفعمة بطعم المحبة والمودة ، وتسامروا بلياليه في جلسات عائلية في وسط اجواء مبهجة اتسمت بمشاعر جياشة مؤمنة بالواقع الجديد الذي برز الى الساحة العراقية ، والذي حمل معه نسائم تحرر النفوس البريئة من غيمة سوداوية غطت سماء العراق لثلاثة عقود..

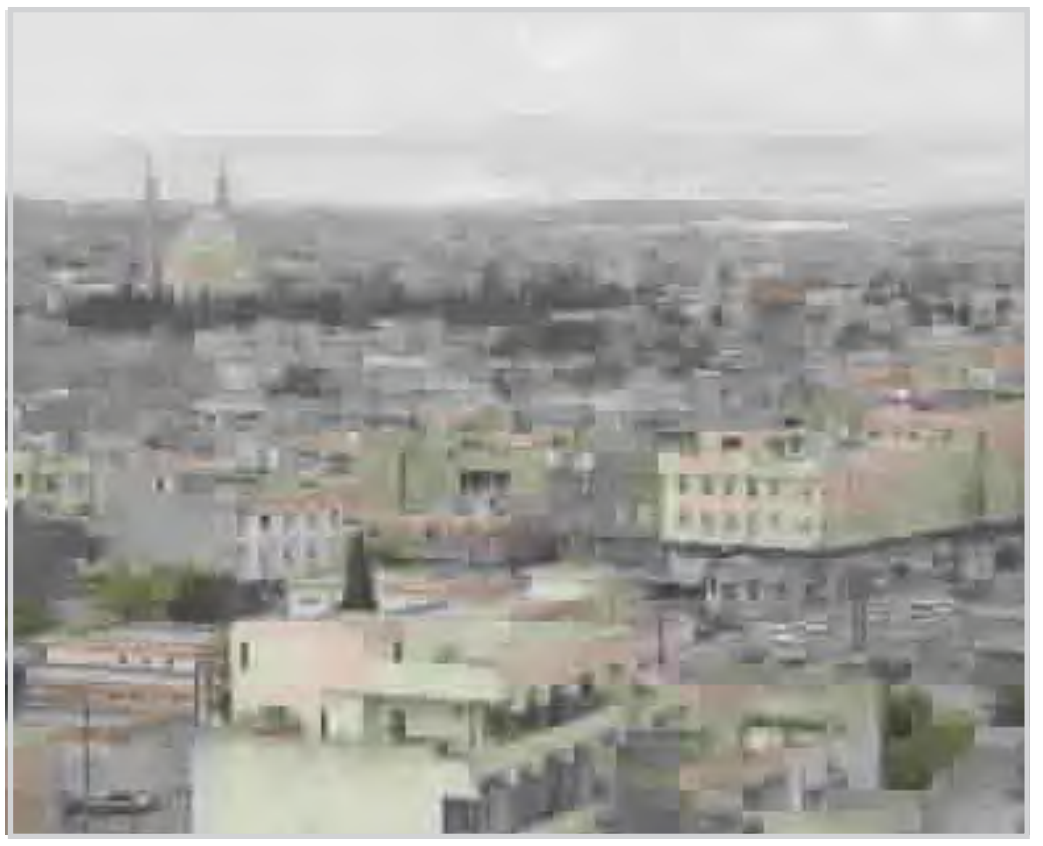

هذه المشاعر النبيلة تجدها لدى كل أهالي المدينة عند خروجهم باكرا من بيوتهم للذهاب الى اقرب جامع لاداء صلاة العيد.

فرح عائلي

وبعد اداء مراسيم العيد في جوامع اربيل، يعود الأهالي الى بيوتهم لأداء مراسيم التهنئة مع العائلة التي حضرت مع أول صباح العيد وليمة دسمة زاهية بأشهى أنواع الأكلات الكردية، وغالبا ما تكون أكلة "القوزي" هي الأكلة المفضلة والسائدة على سفر مائدة الافتتاحية الباكرة للعيد، ويقال أن هذا التقليد الكردي شائع أيضا في بغداد ومناطق اخرى من العراق. المهم في الامر أن اغلب العوائل الكردية تتصبح في اليوم الاول في العيد بهذا التقليد الذي انتقل من جيل الى جيل عبر ازمنة قديمة، واغلب الظن ان هذا التقليد ارسيت جذوره في المنطقة استنادا الى اعتقاد بأهمية منح الجسم غذاء كافيا للحركة والانتقال سيرا على الاقدام من منطقة الى اخرى للتهنئة بالعيد ومن قرية الى اخرى لغرض المعايدة، خاصة ان وسائل النقل الحديثة لم تكن متوفرة في السابق، فبقي هذا التقليد الى يومنا هذا.. ولو أن بعض العوائل اتجه الى تقليد اخر وهو تحضير وليمة خفيفة غير دسمة بعد توفر وسائل النقل الحديثة من سيارات ومركبات لدى الافراد والعوائل في يومنا هذا.

اجواء ساحرة

بعد المعايدة وتبادل التهاني وتبادل الزيارات واداء مراسيم العيد في اليوم الاول من العيد، تنتقل الكثرة من أهالي المدينة في اليوم الثاني والثالث الى اجواء الطبيعة الساحرة في الاقليم التي تتسم بجمالية رائعة في وقتنا هذا مع بداية قدوم الشتاء، فيذهب بعضهم الى المصايف التي تشتهر بها عاصمة الاقليم كمصيف شقلاوة وبيخال وجنديان، وهي معالم سياحية جميلة اصبحت قبلة للسياحة، يجد المرء فيها متنفسا للراحة والاصطياف في موسم الصيف بكثرة وفي موسم الشتاء بقلة. وفي هذه السنة حلت عوائل عديدة من بغداد ومناطق اخرى من العراق على هذه المناطق السياحية لتمضية العيد في هذه الربوع الطبيعية والتمتع باجوائها وهوائها وخضرها وجبالها وينابيعها، وامتاع النفس بجمال الطبيعة في هذه البقع الساحرة، والحاضنة لجمال قل نظيره، فرشته انامل وفرشاة طبيعة خلابة على لوحة مفروشة أرضها وجبالها ووديانها، جنة اسمها اقليم كردستان.

دبكات كردية

وتوازيا مع هذا الخروج في العيد للتمتع باجواء الطبيعة، تذهب الكثرة الاخرى الى جانبي الطريق الذي يربط بين مدينة اربيل ومصيف صلاح الدين الذي يقع على جبل "بيرمام" الذي يبلغ ارتفاعه عن سطح البحر اكثر من ٨٠٠متر، وجانبي الطريق الذي يربط بين اربيل ومدينة كويى التي تبعد ٣٢ كم من مركز المدينة. يتجمع الناس في هذه المناطق على الاراضي الممتدة على جانبي هذين الطريقين على شكل حلقات دائرية او مربعة كتجمعات عائلية او جماعية او مجموعات شبابية وطلابية خرجت لتتفسح وتتنفس الهواء الطلق. وغالبا ما تتوسط هذه التجمعات دبكات كردية هنا وهناك، دبكات مختلطة عائلية او لمجاميع شبابية او طلابية على انغام اغانٍ كردية عراقية بحلقات زاهية الالوان وحركات تعبر عن مشاعر جميلة نابعة من الفرح وبهجة النفس.

مادب في الهواء الطلق

وكثيرا ما يرافق هذه الاحتفاليات العفوية انشغال بعض حلقات وتجمعات المحتفلين، بتحضير مآدب الاكل في الهواء الطلق وفي اجواء الطبيعة الحرة، فتجد من يحضر اللحم ومن يحضر موقد الشواء ومن يحضر سفرة الطعام ومن يحضر السلطة ومن يحضر تركيبة اكلة "الدولمة الشهيرة" ومن يحضر المشويات على نار طبيعية او نار قنينة غازية.. كل هذا وجدناه في هذه المناسبة العيدية السعيدة، وهي الصورة الشائعة التي نجدها في المناسبات الاخرى كعيد الكرد الشهير "نوروز" عيد رأس السنة الكردية وعيد بطل الكرد (كاوة) الذي ثار بوجه الطغيان والاستبداد قبل الفين وسبعمائة سنة حسب التقويم الكردي ليزرع بسمة الفرحة على افواه الناس، وكذلك في المناسبات العادية وفي ايام الخميس والجمعة خاصة في الفترة التي تلي عيد نوروز حتى اشتداد الصيف، حيث يخرج الناس الى هذه المناطق في فترة (العصرية) للراحة والتمتع بالطبيعة. وكثيرا ما اصبح الناس في يومنا هذا معتادين على اعداد حفلات مناسبات الزواج في الطبيعة المحيطة باربيل وهو تقليد اصبح مألوفاً على المشاهدة عند التنقل بين اربيل والمدن المحيطة بها.

(بارك) اربيل

ومع الاحتفال بهذا العيد، تزامن افتتاح مرفق ترفيهي جديد على حياة اهالي اربيل في شهر آذار الماضي، اضافة الى الحديقة الشهيرة "باخچەی طلکەند" التي تعود بدايات إنشائها الى الستينيات من القرن الماضي حيث تزدحم بالعوائل في احيان كثيرة لوجود اماكن ترفيهية مناسبة فيها ككازينوات عائلية ومدينة للالعاب وحديقة صغيرة متواضعة للحيوانات.. المرفق الجديد هو "بارك اربيل" ويقع مقابل بناية المجلس الوطني الكردستاني، وهو متنزه كبير تخرج الناس اليه في الايام والليالي العادية، وكذلك في المناسبات الكردية والدينية وفي هذا العيد، حيث تكتظ بالناس وسط اجواء من الخضرة الدائمة التي تجملها باقات وشدات من الورود والازهار الجميلة التي اعطت للبارك جمالا زاهيا في كل بقعة منها، محاطا بهالة من سحر الطبيعة الساحرة التي ترشقك بمناظر جميلة وروائح طيبة كأنها تخرج من جنات مزهرة لا خضرة فيها الا خضرة الازهار.

امنيات

هذه الاجواء الساحرة التي يحتفل فيها اهالي مدينة اربيل، صاحبة اقدم قلعة شهيرة مستوطنة على مر التاريخ، حملت في طياتها امنيات طيبة للكرد ولكل العراقيين وتمنت ان يسود العراق امن واستقرار دائم بعيدا عن اجواء العنف الذي لا يولد منه الا العنف، وهذا ما عبر عنه بعض الناس من اهالي اربيل المحتفلين بالعيد وتمنوا بكل الطيبة المعهودة منهم ان تستقر الاوضاع في العراق وان تترك المنظمات الارهابية ارضها وتترك الساحة لاهاليها لتقرر ما هو خير ونافع للعراقيين. وفي هذا الصدد عبر الموظف الحكومي "هوشنك" عن شعوره قائلا "ان شعوره ككردي وكعراقي في هذا العيد مليء بالفرحة لتزامنه مع

وليمة اول أيام العيد تساعد المهنئين على السير أميالاً لمعايدة اقاربهم

بعض عوائل اربيل استقبلت أبناءها الغائبين وبعضها استغلت العيد لمصالحة عوائل اخرى

الواقع الجديد الذي يعيشه اقليم كردستان والعراق بعيدا عن الحياة السابقة التي كان يسودها طغيان دكتاتور جائر اسمه صدام، ولكن ما يحزنني ان ايدي خبيثة تلعب بالنار في وسط العراق، لا هم لها سوى غمر العراقيين في عنف دموي لا طائل له، فاتمنى على العراقيين في هذه المنطقة ان يجابهوا برؤية مبصرة وعقلية واعية هذه الايادي بحزم شديد لكي لا تضيع عليهم وعلى العراقيين عموما، الفرحة بالعراق الجديد الذي أشرقت الشمس فيه من جديد، لتعم مظاهر الامن والاستقرار والاعمار فيه" .

مصالحات

ومن المظاهر الجميلة التي رافقت هذا العيد والمتسمة بالفعل الطيب وعمل الخير، مظاهر المصالحة، التي يقوم بها بعض الافراد والاشخاص من اصحاب الخير لاصلاح البين بين الاصدقاء والعوائل الذين قد يعتري علاقتهم بعض سوء الفهم لاسباب خاصة، وكثيرا ما تنتهي هذا الدعوات بولائم لذيذة بما طاب من اكل وطيبات لتعمهم فرحة غامرة تضاعف فرحتهم العادية بالعيد فتتجدد السهرات والدعوات بينهم. وحدثني بهذا الصدد "حكيم" وهو مدرس في مدرسة اعدادية، انه في اليوم الاول من هذا العيد السعيد اصلح علاقة بين صديقين عزيزين عليه تباعدا بسبب مسألة لها علاقة بالتجارة، انقطعت العلاقة بينهما سبعة اشهر. واضاف "ان العلاقة بينهما، منذ التصالح عادت اكثر حرارة واكثر ثقة، وهذا ما افرح قلبي اكثر مع فرحتي بالعيد".

فرح بعودة الابناء الغائبين

مظهر اخر وجد طريقه الى احتفالية العيد في عيدنا هذا في اربيل، هو احتفال بعض العوائل بعودة ابنائهم من الخارج وعودة بعض العوائل الى الوطن لقضاء فترة عيد الفطر وسط اهاليهم وذويهم واقربائهم، ففي هذه الحالة تتزايد الزيارات بين هذه العوائل وتتلقى كل عائلة زيارات كثيفة من الجيران والاهالي والاقارب تبريكا وتهنئة بالعيد وبالزيارة وتمنيا بقضاء اوقات طيبة بين اهاليهم وذويهم.. وبهذا الامر حدثني "لقمان" صاحب محل "ان هذا العيد عاد عليه بعيدين، اولا عيد الفطر الذي حل علينا بعد رمضان مبارك، وثانيا عيد اخر بمناسبة زيارة اخيه الذي يعيش في النرويج لكردستان ولاهله لقضاء العيد بينهم وسط ذويه، وهذا ما اعاد عليهم هذا العيد فرحة كبيرة لا توصف لجمع شمل العائلة خاصة ان العائلة لم تشهد هذا الشمل منذ سنوات طوال".

تحسن الرواتب

ثمة مظهر اخر من مظاهر الفرح بهذا العيد عبر عنه "طاهر" معلم في مدرسة ابتدائية، حدثني عنه قائلا " ان فرحتي بهذا العيد كبيرة جدا، ولم اعش مثيلاً له في السابق، والسبب ان قدرتي الشرائية تحسنت كثيراً جدا بفضل التحسن الذي طرأ على رواتب موظفي الدولة في اقليم كردستان وفي العراق بعد تغيير نظام صدام الذي كان يعطي للموظف في السابق قيمة طبقة بيض واحدة فقط كراتب لشهر كامل.. فبفضل الراتب الجديد تمكنت من ان اوفر للبيت اغلب اللوازم الضرورية من ثلاجة جيدة، وغسالة وستلايت وموبايل، في الاعياد السابقة لم تكن هذه الحاجيات متوفرة في منزلي، اما في هذا العيد فان هذه اللوازم متوفرة وهذا ما جعلني اكثر فرحة بهذا العيد، واتمنى ان يعيده الله علينا وعلى كردستان وعلى العراق باعياد دائمة".

هديتي سيارة!

صورة اخرى معبرة عن الفرح بالعيد في هذه السنة قال عنه "كمال" طالب كلية " من الاحلام الكبيرة التي كنت احلم بها في السابق، امتلاكي سيارة اعيد بها، والحمد لله في هذه السنة تحقق حلمي، في رمضان هذا، قدم لي والدي سيارة جديدة، ففرحت بها جدا لاني قضيت هذا العيد بالسيارة الجديدة التي كنت احلم بها من سنين طوال، واصبح الحلم حقيقة واقعة، واتمنى لكل انسان ان تتحقق احلامه، والجميل ان الواقع الجديد الذي نعيشه ككرد وكعراقيين يساعد على تحقيق الاحلام بسبب تحسن الوضع الاقتصادي".

متى يعم الامن كل العراق؟

وهنا بعد سرد هذه المظاهر الزاهية بالوان جميلة من عيد الفطر المبارك المطعم بالفرح الغامر لاهالي المدينة العريقة "هه وليَر" عاصمة اقليم كردستان المفعمة بامن واستقرار بفضل ابنائها وحكومتها، لا يسعنا الا ان ندعو بكل صدق ورغبة حقيقية في ان يمتد هذا الاستقرار والامان الى كل ربوع العراق ليحتفل العراقيون في عيد الاضحى المقبل بفرحة كبيرة تعم كل العراقيين، فرحة بالعيد، وفرحة باشراق شمس جديد على العراق.

تحت الضوء

ابتهاجاً بما تبقى

نغم علي

يتذكر أبناء الجيل الخمسيني الذين قضوا سنوات شبابهم في السبعينيات حين كانوا يخرجون إلى أعمالهم صباحاً وهم في كامل أناقتهم بعد أن يحلقوا ذقونهم ويتعطروا ليعودوا بعد الظهيرة إلى منازلهم وليمضوا فترة ما بعد العصر في سهرة بقاعة مسرح أو سينما أو أمسية ثقافية أو نزهة بريئة على شارع (أبو نؤاس) أو زيارة عائلية لبيت صديق أو قريب بعد أن يرتدوا أجمل ما يمتلكون من بدلات مخصصة لمثل هذه المناسبات التي تتكرر في الأسبوع مرات لا تقل عن الثلاث أو الأربع، وما لبثوا بعد سنوات قلائل أن دخلوا مطحنة الحروب لتختفي معها على نحو مفاجئ كل مظاهر الفرح الاجتماعي ولتتحول صباحاتهم إلى دوامات من الخوف وملامسة الموت ولياليهم تضج بالكوابيس. فكانوا الجيل الأخير الذي عاش شيئا من الحياة الاجتماعية التي تضفي على من يمارسها صبغة من الإنسانية وتجعله مشابها لأقرانه في بلدان أخرى. وجاء بعد ذلك جيل كان اللون الخاكي هو الفضاء الذي يغطي عالمه من أطرافه كلها، فغابت عنه كل مظاهر الاحتفاء بالحياة، وغابت عنهم الألوان والعطور وتلك الرائحة المميزة للملابس الجديدة بعد أن حاصرتهم السلطة بالملابس ذات المناشئ الرديئة والبالات التي امتلأت أسواق بغداد بها. ويوما بعد آخر انطفأت الألوان من الوجوه التي أنهكها السهر والخوف والقلق وسوء التغذية، حتى اللون الأسود اختفى من الرؤوس واختفى بياض الأسنان ليصاحبهما اضمحلال في ألوان الملابس التي أخذ الكثير من الشباب يتفننون في قلبها بعد أن جردت من ألوانها، حتى غدا اختيار الألوان لدى الشباب يتركز في الألوان الترابية ، باستثناء بعض المطربين الذين اندفعوا تحت وطأة الحرمان لتجريب ألوان صارخة. البنايات فقدت ألوانها بعد أن تركت سنوات طوالاً بلا طلاء جديد، والشوارع والأشجار والجسور هي الأخرى علاها غبار الحروب والمطر الأسود الذي اصطبغت به كل الشواخص القائمة بعد حرب الكويت. وفي زحمة هذه الأجواء الكابية اضطرت نسبة كبيرة من العوائل العراقية إلى بيع تلفزيوناتها الملونة والاكتفاء بأجهزة قديمة بالأبيض والأسود فقط، ليظهر عليها كل يوم رجل مخبول يذكرهم أن الألوان التي يحلمون بها لن تتوهج في حياتهم ما دام هو جالسا على كرسي وثير في قصور تشع بالألوان لا يراها إلا من يختاره هو.

لنغلف آهاتنا بألوان الطيف الشمسي. نحن بحاجة إلى أن نحب أنفسنا أكثر ونتصالح مع ذواتنا فالشكل الخارجي هو بطاقة تعريفية للإنسان، هو مدخل مهم للكشف عن شخصيته وهو بالتالي لا يقل أهمية عن المضمون الداخلي. هي دعوة لمراعاة الذوق العام لمن يعمل في المهن التي تتطلب وجود ملابس عمل خاصة.

هي دعوة للابتهاج بمناسبة أننا ما زلنا على قيد الحياة برغم كل شيء، برغم الانفجارات التي تصدع قلوبنا كل لحظة والألغام والعبوات الناسفة التي تتربص بنا، برغم حياتنا التي تحولت إلى فيلم مرعب حي لا نعرف متى وأين يعرض في أي شارع أو أي بيت أو سوق شعبي. إذا كان الفرح يباع فلنشتر منه قليلاً باقتناء الملابس التي تثير فينا المرح والتفاؤل، ولنخرج من دائرة الألوان الكآبة التي تثير الجزع والتشاؤم ، لننس الحداد النفسي ولنمنح أنفسنا فرصة أخرى للنجاة، برغم الماضي والحاضر المغمس بالدماء وبرغم الخوف واللا أمان. لننس اننا في بلد أصبح كقطعة مغناطيس كبيرة جذبت إليها جميع مسامير الأرض.